الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد

رأس السنة الميلادية وملحقاته

نحن في بلد عربي مسلم ...

المساجد فيه مفتوحة الأبواب ...

إنها تستقبل المصلين في كل وقت من أوقات الصلاة الخمس ثم أنها تضج بالمصلين وتحتقن جوانبها ثم تسيل أطرافها إلى صحونها الموصولة بها بأعداد كبيرة أخرى من هؤلاء المصلين .

يضاف إلى ذلك أن الدولة تعتبر نفسها مؤسسة وطنية إسلامية. التشريع فيها موصول بالتشريع الإسلامي.. والتربية في وزارتها المختصة تستمد الكثير من قيمها وتعاليمها من الإسلام .. وفي مواسم الحج إلى بيت الله الحرام يتدفق الألوف من أبناء هذه الدولة والعاملين في ظلها إلى الديار المقدسة تائبين منيبين يسألون الله عز وجل من فضله ..

والبيت الحرام مع كل المناسك فيه والمواطن المقدسة في جبل عرفات ومكة والمدينة وما بينهما يزدحم في مواسم الحج بمئات الألوف القادمين من أقطار العالم الإسلامي.

أمام هذه المشاهد يفرك المراقبون أيديهم ويقولون بلهجة لا تخلو من المفاخرة والمباهاة : " الإسلام والمسلمون في خير " ثم ينصرفون ليعودوا مرة أخرى من العام التالي ليشهدوا المشاهد نفسها وليقولوا مثل قولهم السابق : "الإسلام والمسلمون في خير ".

وتنتهي مسؤولية التوجيه والرعاية الدينية بالنسبة إليهم عند هذه المشاهد ويعود كل منهم إلى وطنه ليشيع احساسه بالطمأنينة عند الناس الذين يستنبئونه بعض ما شاهد من مشاهد التظاهرة الإسلامية الكبرى في البيت الحرام.

هكذا تمضي الأعوام في الوقت الذي يعد كل مسلم نفسه بجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين من أمثاله.

****

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

أما فيما وراء ذلك فلا أهمية عندهم لغياب الإسلام فيه. فلا يجدون ضيرا في أن يشاركوا الناس من عوالم بعيدة في إحياء المناسبات الخاصة بهم.

ثم لا يحسون بأي حرج حين ينظمون التظاهرات وينفقون الأموال ويرتبون السهرات الحمرا والبيضاء والزرقاء .. ويغنون ويهزجون ويرقصون.

ولماذا لا يفعلون ذلك وهم يقرأون قوله تبارك وتعالى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ". فليقبلوا على الدنيا وليستمتعوا بما يتهيأ لهم من الطيبات وأسباب الرزق.

من هنا لم يترددوا في استقبال رأس السنة الميلادية بما هو أهله .. أوليس أن العالم المتقدم المتحضر يستقبل هذه المناسبة بالزينات والمهرجانات ؟ أوليس أن الملايين من شباب هذا العالم يعقدون الاجتماعات ويسيرون في الشوارع والساحات العامة ويملأون الدنيا ضجة وصخبا ويتبادلون التهاني ويزعمون أن مثل هذه التظاهرات مجلبة للتفاهم والحب ومصدر للتقارب بين الشعوب؟

ولماذا لا يكون شباب العالم العربي الإسلامي على مثال الشباب في العالم المتقدم المتحضر؟ بل لماذا لا يبالغ شبابنا في رفع الزينات وفي الاحتفال الساهر بهذه المناسبة؟

أوليس من حقهم أن يلحقوا بموكب التقدم والحضارة؟ أوليس أن جيلهم هو جيل الربع الأخير من القرن العشرين ؟ وإذا فليرقصوا وليهزجوا وليلبسوا القبعات وليتباهوا بالأثواب من كل لون ونوع وجنس وليشاركوا العالم في فرحته فهم ليسوا أقل وعيا بحاجة العالم إلى الحب والسلام والوحدة !.

****

أمام هذا الوضع نستأذن هؤلاء الناس بمحاكمة الزينات التي يرفعون والاحتفالات التي تحتويها بيوتهم وتهتم لها ألوف الأسر منهم. ولنحتكم في هذه المحاكمة إلى الضمائر والأفئدة والعقول التي لم يغيرها حب التقليد ولم تفسرها عقد الشعور بالدونية، ولم تهيمن عليها الرغبة الخفية في تعذيب الذات والمبالغة في احتقارها وتجاهل كرامتها.

العجيب أن هؤلاء المحتفلين بمناسبة رأس السنة الميلادية لا يبدو أنهم يعلمون شيئا عن العلاقة القائمة بين المناسبات التاريخية وبين الناس الذين يحتفلون بها.

لا شيء يدل عندهم على أنهم يدركون العلاقة القائمة بين أعياد الميلاد ومناسبة رأس السنة الميلادية وبين الشعوب الغربية المسيحية . إنهم يجهلون مثلا أن هذه الأعياد هي جزء لا يتجزأ من تراثها التاريخي وبالتالي تعبير عن اصالتها الثقافية وشخصيتها الحضارية.

فالاحتفال بها عندها هو ضرورة قومية وقيمة من القيم الحضارية. والعجيب أكثر فأكثر أن الناس عندنا في الكويت وفي كثير من الأقطار العربية الأخرى ، لا يتجاوبون مع المناسبات التي ترمز إلى تراثهم الثقافي ، وشخصيتهم الحضارية . فهم لا يجدون فيها غير طقوس يمارسونها كما تمارس الطقوس الوثنية، بعيدا عن وضوح الرؤية، وحرارة الإيمان ، وارادة العمل التي يفترض أن تستنير بها في صنع الحياة اليومية.

****

ماذا تعني هذه الظاهرة عند الناس في الكويت وغير الكويت ؟ أوليست ظاهرة انخلاع من الذات؟ أوليست اعلانا عن غياب الدور الذي يجب أن تقوم به اخلاق الولاء للتراث الثقافي ولشواهد الأعمال البطولية التي تفاخر بها الأجيال على امتداد القرون عند الأمم؟

أولا تعني هذه الظاهرة أن انفصاما خطيرا واقع بين حياتنا اليومية وما يتصل بهذه الحياة من القيم الفاعلة والعادات والتقاليد، وبين المناسبات التي يعلن احتفالنا بها عن عمق ولائنا لدورنا القيادي وتراثنا الثقافي وعقيدتنا الدينية ؟

****

كنت أتمنى لو أن الناس في هذا البلد العربي الناهض يشهدون ما يجري في بعض البلدان العربية والإسلامية وأن يتابعوا الوقائع في مناسبة كمناسبة يوم الهجرة النبوية أو يوم مولد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم في المغرب العربي أو السودان.

أما فيما يتعلق بالمغرب العربي فقد وجدت في شهادة الكاتب الصحفي الأستاذ سليمان الفهد ما يؤكد تلك العلاقة الوثيقة بين الشعب المغربي وبين المناسبات الدينية التاريخية . أما السودان فقد شهدت في العام الماضي والعام الذي قبله كيف يحتفل

الشعب السوداني الشقيق هناك بيوم المولد النبوي الشريف. وهو احتفال يجري بمبادرة من الجماهير التي تتنادى للإجتماع ليليا في ساحات كبيرة تتسع لعشرات الألوف من الناس، منها ساحة في الخرطوم وساحة أخرى في خرطوم بحري وساحة ثالثة في أم درمان.

والدولة هناك تنتهز هذه المناسبة للمشاركة رسميا في احيائها. وتختار في كل عام وبصورة دورية ساحة من الساحات الثلاث تنتدب لحضورها واحياء معالمها مسؤولا كبيرا. وكثيرا ما يكون رئيس الجمهورية السودانية نفسه على رأس المحتفلين بالمناسبة.

في العام الماضي والذي سبق اتيح لي أن احضر واحدا من الاحتفالات الثلاثة كما أتيحت لي فرصة للمشاركة شخصيا في احياء المناسبة.

ففي العام قبل الماضي وجدتني في وسط جمع من الناس لا يقل عن أربعين ألفا فيهم الشيوخ والشباب وحتى الصبيان .. وفيهم النساء أيضا من كل الفئات والطبقات قد جمعهم الولاء العميق لشخصية المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد حفلت الساحة بكل أنواع الزينات ورفعت حولها في دائرة واسعة جدا عشرات السرادقات التي يزدحم فيها فيستمعون في بعضها إلى تلاوة من الذكر الحكيم، وفي بعضها الآخر إلى خطب ومواعظ، وتنظم في بعضها الثالث حلقات الذاكرين. حتى إذا اعلن عن الابتداء بفقرات الحفل الرسمي اختفى الضجيج والصخب وسكتت الأفواه وانتشر صمت عميق. وإذا كانت هذه المظاهرة غريبة شيئا ما فلأنها تجري في جمع يضم عشرات الآلاف من ابناء الشعب. وهذا كله يدل الى تلك العلاقة الوثيقة التي تشد الجماهير هناك إلى المناسبة التاريخية الإسلامية العظيمة.

وكم تمنيت أن تنتدب الجمعيات هنا بعض اعضائها لحضور مثل هذه المناسبة في الخرطوم وام درمان وأن يشترك في حضورها مواطنون عاديون ممن يستهويهم السفر والسياحة في البلاد الغربية لمشاهدة الاحتفالات العامة التي تجري فيها. فلعلهم وهم يشهدون ما يجري في أوساط الشعب السوداني واوساط الشعب المغربي أن تستيقظ في نفوسهم حرارة الولاء لمناسباتنا التاريخية وأن يكتشفوا بأن العبادات ليست طقوسا تمارس في المساجد أو البيت الحرام وحسب بل هي ذات دور إعلامي تربوي يجعل من العبادات منطلقا لتعميق الولاء لتراثنا الثقافي ولتدعيم الصلة على الأقل بالمعلم الأول الذي جاءنا برسالة من السماء كانت ولا تزال هدى ورحمة للعالمين.

****

إن احتفالنا بمناسبة رأس السنة الميلادية هو اعتراف صريح بهوان مناسباتنا التاريخية والدينية علينا. والمؤلم أن احدا هنا في الكويت وفي أكثر الأقطار العربية لا يشعر بمجيء أي مناسبة تتصل بتاريخنا الحضاري وعقيدتنا الدينية وتراثنا الثقافي لولا صدور قرارات الحكومة بالتعطيل وايقاف العمل في المكاتب الرسمية بسببها.

ألا تعني هذه الظاهرة أن الاحتفال بيوم الهجرة أو بالمولد النبوي الشريف أو بأيام العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى هو عملية انقاذ للمظاهر واعلان عن الانفصام النفسي العميق بين الناس وبين هذه المناسبات؟

إن حقيقة الأمة ليست هي التي تعبر عنها القرارات الرسمية وليست هي التي تستقل بالاهتمام بها جهات معينة، بل هي التي تعبر عنها التحركات العفوية العامة والتي تعيش في قلوب المواطنين على اختلاف اعمارهم فتتحقق بها مشاعر الوحدة وتلتقي بها وتتفاعل اخلاق الولاء وعواطف الحب دون تدخل من أي جهة من الجهات.

****

ليراجع كل منا ضميره ... وليتفكر مرة واحدة وبالجدية المطلوبة في حقيقة تصرفه فلعله أن يكتشف الثغرة التي يؤتى منها ويخضع بها لتيارات الإعلام الأجنبي وللغزو الثقافي الذي يفصل بينه وبين مصادر الكرامة التاريخية في ذات نفسه.

لنحاول اعادة النظر في مسيرتنا و اخلاقنا والقيم التي نحتفل بها ولنتذكر دورنا القيادي الذي تنازلنا عنه حتى اليوم ونحن نواجه مسؤوليات معركة البقاء . فلعلنا ندرك في النهاية كم فقدنا من المواقع وخسرنا من المكاسب بعد ان اسلمنا قيادنا للقوى والتيارات الثقافية الوافدة من خارج عالمنا العربي الإسلامي.